الدّلالة والتّركيب بين النّحو التّوليديّ والنّحو العرفانيّ
(المفاهيم والآليات الإجرائيّة)

The signifcance and the composition Between the genrative grammar and the cognitive grammar
(The conceptions and the application mecanisme)

د. فريدة رمضاني‡

تاريخ الاستلام: 2020.07.22 تاريخ القبول: 2021.01.27

ملخّص: يشكل الحديث عن الدّلالة والتّركيب مركز الدّراسات اللسانيّة والعرفانيّة على السّواء، ويرجع ذلك إلى قيمة المفهومين في تأسيس كل من النّحو التّوليدي والنّحو العرفاني إلى جانب ارتباطهما بالنّسيج اللغوي ككل إذ يسجلان حضورا قويا في البنيتين اللغويّة والذّهنيّة، ممّا يعزّز مركزيتهما في البحث الدّلالي والبحث التّركيبي. وهدف هذا البحث هو إثبات العلاقة بين الأعمال التي قدمها "تشومسكي" في النّحو التّوليدي و"لانقكر" في النّحو العرفاني وقد وجدنا أنّ المباحث التّركيبيّة والدّلاليّة ذات صلة وثيقة بالنّحوين التّوليدي والعرفاني.

كلمات مفتاحيّة: دلالة؛ تركيب؛ نحو توليدي؛ نحو عرفاني؛ مفهوم.

Abstract: The talk about the significance and the composition form a center of both linguistic and cognitive studies

‡جامعة لونيسي على، البليدة2، الجزائر، البريد الإلكتروني: tadaouli@gmail.com (المؤلّف المرسل).

this is due to the value of the two concepts in founding each of generative grammar and cognitive grammar in side of their linkage to overall language texture they register a strong presence in linguistic and mental structures, thus reinforce their centralization in semantic and syntagmatic research.

The goal of this search is to prove the link between the work provided by "Chomsky" in generative grammar and "Langacker" in cognitive grammar which is closely related.

Keywords: significance; syntagme; generative grammar; cognitive grammar; concept.

1. المقدّمة: لطالما كانت الدّلالة محط أنظار الدّارسين طيلة العقود الماضيّة، ولم يكن من السّهل فيها الحديث عن الدّلالة بعيدا عن التّركيب، ولا ريب أنّ ما نبه إليه اللسانيون بشأن العلاقة الجامعة بين الاثنين قد دعانا للبحث عن سر الائتلاف وعن تفاصيل الاختلاف في البنيتين، ولا جدال في أنّ مسألة التّقصي عن هذه الحقيقة في إطار النّحو التّوليدي والنّحو العرفاني هي على قدر كبير من الأهميّة.

ومهما تعددت الرّؤى لحقيقة الدّلالة والتّركيب فإنّ كليهما له دور ووظيفة في اللغة ولا ينبغي في ظل هذه الاختلافات النّظريّة أن نستبعد قيمة أحدهما أو هيمنة أحدهما على الآخر؛ وقد تحققت في واقع الخطاب اللغوي الكثير من الفرضيات التي كانت تنظر إلى الدّلالة والتّركيب على أنّهما كل متكامل فلا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال.

ولا شك أنّ العلاقة التي تربط بين الدّلالة والتّركيب هي من الأمور التي شغلت بال الباحثين في اللغة؛ فهناك من يرى أنّ التّركيب رهين الدّلالة وهناك من يرى أنّ التّركيب له سلطة على الدّلالة وبين هذا وذاك تنوعت القراءات والتّصورات لهذين المفهومين من النّحو التّوليدي إلى النّحو العرفاني.

إنّ ما أفضت إليه العلوم اللسانيّة والعلوم العرفانيّة بشأن الدّلالة والتّركيب يقودنا إلى طرح العديد من التّساؤلات من قبيل: ما مفهوم الدّلالة والتّركيب في النّحو التّوليدي والنّحو العرفاني؟ من منهما يتحكم في الآخر؟ ما هو المفهوم المركزي وما هو المفهوم الهامشي في النّحوين التّوليدي والعرفاني؟ أهو التّركيب أم الدّلالة؟ ما هي الأبعاد التّوليديّة والعرفانيّة للدلالة والتّركيب؟

وللفصل في هذه الإشكاليات نفترض أنّ الدّلالة والتّركيب لا يمكن الفصل بينهما وإن كانا منفصلين من حيث المستوى اللساني، وأنّهما في كلا النّحوين يشكلان دعامة أساسيّة للعناصر الأخرى بكل أبعادها التّوليديّة والعرفانيّة، وللوصول إلى نتائج علميّة موضوعيّة استندنا إلى المنهج الوصفي متخذين من المفاهيم الإجرائيّة أدوات للتحليل والتّدليل.

2-مفهوم الدّلالة:

1.2-الدّلالة لغة: بعد تصفحنا للعديد من المعجمات تبين لنا أنّ الدّلالة في اللغة تدور في فلك واحد تقريبا والدّلالة لفظ مشتق من الفعل دل يقول "ابن فارس":" الدّال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشّيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشّيء. فالأوّل قولهم: دللت فلانا على الطّريق، والدّليل: الأمارة في الشّيء، وهو بين الدّلالة والدّلالة."[1]

كما ورد في لسان العرب لفظ الدّلالة يقال:" دله على الشّيء يدله دلا ودلالة فاندل: سدده إليه، ودللته فاندل... و الدّليل: ما يستدل به، والدّليل: الدّال و قد دله على الطّريق يدله دلالة ودلالة ودلولة، والفتح أعلى...، والدّليل والدّليلي: الذي يدلك،"[2] وبهذا يدل مفهوم "الدّلالة" عن إبانة الطّريق التي يهتدي إليها طالبها وهو المفهوم المتواتر في أغلب المعجمات العربيّة حيث لا تخلو من ذكر الدّلالة على الطّريق ولا شك أنّ هذا المدلول يرتبط ارتباطا وثيقا بالتّعريفات الاصطلاحيّة التي سنوردها إذ وجدنا أنها تقترب من المعنى اللغوي.

2.2-الدّلالة اصطلاحا: إنّ المتتبع للدراسات الدّلاليّة واللسانيّة على العموم يجد أنّ الباحثين قد اعتنوا بدراسة الدّلالة والنّظر في جزئياتها، بمعنى أنّهم لم يدرسوا اللغة

لذاتها ولكنّهم قبل هذا وذاك اعتنوا بدلالاتها حيث انبرت النّظريات للبحث عن الدّلالة رغم العقبات التي اعترضت طريقها من حيث تحديد المفهوم:" ويرى بعض الباحثين أنّ "الدّلالة" الوحدة اللغويّة هو مدلولها وتختلف النّظريات حول تحديد هذا المدلول وطريقة تحديده."[3]

وقد أومأ "دي سوسير" De Saussure إلى هذه المسألة في المحاضرات التي ألقاها على طلبته حيث يرى أن اجتماع الدّال بالمدلول ينتج لنا الدّلالة وهي القضيّة التي شغلت بال معظم اللسانيين فيما بعد حيث أصبحت أحد أعمدة اللسانيات، كما فسر العلاقة التي تجمع بينهما وقال أنّها اعتباطيّة وكان هذا التّصور النّفساني الذي طرحه هو مركز الدّراسة الدّلاليّة لاحقا.

وبهذا تمثّل الدّلالة نقطة عبور لابد من المرور عليها للدخول في مباحث اللغة وفي الواقع فإنّ التّصور بأنّ مسألة الفصل في هذا المفهوم تبقى صعبة جدا نظرا لتداخلها مع الكثير من المجالات التي ترتبط بها بطريقة أو بأخرى هذا من جهة، ومن جهة ثانيّة لأنّها تتداخل مع مفاهيم أخرى مشابهة.

سلفت الإشارة إلى أنّ "دي سوسير" قد جمع بين عنصرين لتبيان مفهوم الدّلالة وقد ضبطه من خلال وجهين اثنين الدّال والمدلول ومن أجل ذلك:" يمكن تصور الدّلالة كسيرورة، فالفعل هو الذي يوحد الدّال بالمدلول: فعل نتاجه الدّليل...لأنّ وحدة الدّال بالمدلول، ...لا تستنفد الفعل الدّلالي، فالدّليل يستمد قيمته أيضا ممّا يحيط به؛ ثم لأنّ العقل، لكي يدل، لا يسلك نهج الرّبط والاقتران Conjontion وإنّما نهج التّقطيع: الحقيقة أنّ الدّلالة (التّدلال) لا توحد كائنات أحاديّة الجانب، ولا تقرب بين لفظين فقط لسبب بسيط هو أنّ كلا من الدّال والمدلول طرف وعلاقة في الوقت ذاته."[4]

3 –مفهوم التّركيب:

1.3–التّركيب لغة: جاء مفهوم التّركيب في معجم "ابن منظور" وهو مشتق من مادة ركب يقول:" ركب الدّابة يركب ركوبا: علا عليها، والاسم الرّكبة، بالكسر، والرّكبة مرة واحدة، وكل ما علي فقد ركب وارتكب والرّكبة، بالكسر: ضرب من الرّكوب، يقال: هو حسن الرّكبة"[5] ويقول:" تراكب السّحاب تراكم: صار بعضه فوق بعض... وركب

الشّيء: وضع بعضه على بعض، وقد تركب وتراكب، والمتراكب من القافيّة: كل قافيّة توالتّ فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين...والرّكيب: يكون اسما للمركب في الشّيء كالفص يركب في كفة الخاتم...وشيء حسن التّركيب، وتقول في تركيب الفص في الخاتم و النّصل في السّهم: ركبته فتركب، فهو مركب وركيب،"[6] والنّاظر في معجمات اللغة يتبين له بوضوح أنّ هناك شبه إجماع على أنّ التّركيب هو ضم شيئين فأكثر وهذا بالضّبط ما وجدناه في التّعريف الاصطلاحي.

2.3-التّركيب اصطلاحا: لا جدال في كون التّركيب يحوز على الكثير من الاهتمام في إطار البحوث اللغويّة، بل إنّ الشّطر الكبير منها قد انحصر في تبيان هذا المفهوم فليس من مقدور الدّارس للغة الاستغناء عن تعريف التّركيب إذ:" لا وجود لملفوظ بلسان من الالسّن لا يبدو في مظهر ضم وحدتين أو أكثر(متعاقبتين أو متزامنتين) من شأنهما أن تظهرا أيضا في ملفوظات أخرى،"[7] وعليه فإنّ الإشارة إلى قيمة مصطلح التّركيب هي من وجهة نظرنا ضروريّة في هذا البحث.

لقد أظهرت الدّراسات الحديثة أن للتركيب دورا محوريا في ربط العناصر اللغويّة فيما بينها ولذلك ألح كثير من الباحثين اللسانيين على ضرورة الاهتمام بالمستوى التّركيبي The syntaxic level وهو:" عبارة عن تعاقب مجموعة من الكلمات،"[8] على حد تعبير النّحويين والمقصود بالتّعاقب هو تتابع الوحدات في مدرج الكلام حيث يتم التّعاقب في شكل سلسلة خطيّة.

وغير بعيد عن هذا المنحى يذهب "دي سوسير" إلى اعتبار التّركيب كل تتابع خطي في السّلسلة الكلاميّة وهو مفهوم بنوي بحت نجده عند جل اللسانيين الذين أخذوا عن المدرسة السّوسيريّة فمعظم المفاهيم منبثقة من لدن المنهج الوصفي.

وليس هذا هو الرّأي الوحيد الذي سيطر على الدّرس اللساني الحديث بل اقتنع بعضهم بأن التّركيب:" هو الجزء من النّحو الواصف للقواعد التي تأتلف بها الوحدات الدّالة في الجملة، ويخالف التّركيب الذي يحلل الوظائف الصّرف الذي يدرج تكوين الكلمات واشتقاقها وهناك من يخلط بين النّحو وبين التّركيب،"[9] كما هي الحال بالنّسبة

للمدرسة التّوليديّة التّحويليّة فإنّ التّركيب يتضمن عدة مكونات: الأساس المكون المقولي والمعجم–المكون التّحويلي.[10]

وإذا أردنا التّدقيق أكثر في مفهوم التّركيب نقول إنّه عبارة عن:" مجموعة من الوحدات الصّرفيّة التي تشكل مكونات تركيبيّة أو جمل منتظمة حول نواة"[11] وهذا يعني أنّ التّركيب لا يستقيم إلاّ إذا تمحور حول عنصر مركزي قد يكون الفعل أو الاسم وعليه فإنّ التّركيب يبقى هو مجموعة منتظمة من الكلمات وهذا ما أقر به أغلب اللسانيين.

3–علاقة الدّلالة بالتّركيب: إنّ علاقة الدّلالة بالتّركيب هي من الأمور التي اعتنى بها الدّارسون للغة؛ نظرا للعلاقة الوطيدة التي تجمع بينهما؛ ولهذا في البدايّة علينا أن نتبين جيدا علاقة الدّلالة بالتّركيب: " فليس الوصف النّحوي جامدا أصم خاليا من الدّلالة؛ إذ إنّ الوصف النّحوي وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة بعضها بالبعض الآخر، والعلاقة التي تصفها القواعد النّحويّة هي نفسها مستمدة من أمرين: [12]

أحدهما: لغوي يحكمه وضع الكلمات بطريقة معينة وبصيغة معينة في كتل صوتيّة خاصّة.

والآخر: عقلي وهو المفهوم المترتب على الوضع السّابق من حيث ارتباط كل هيئة تركيبيّة بدلالة وضعيّة معينة.

إنّ النّظر في العلاقة التي تربط بين الدّلالة والتّركيب نجدها ماثلة عند "ريتشاردز" Richards و"أوجدن" Ogden في كتابهما الموسوم ب"معنى المعنى" The meaning of meaning حيث حاولا تفسير هذا التّعالق الشّديد بين المفهومين:" ومن خلال هذه الجهود المكثفة حول دراسة المعنى التي كانت تنطلق من "الكلمة" أوّل الأمر ثم ما عرف بالوحدة الدّلاليّة بعد ذلك وإمكان اتساع هذه الوحدة الدّلاليّة، ظهر الاهتمام "بالجملة" التي كان يعتبرها بعض الباحثين أهم وحدات المعنى، وأهم من الكلمة نفسها إذ لا يوجد في رأيهم معنى منفصل للكلمة، بل معناها في الجملة التي تقع فيها فإذا قلت إن كلمة أو عبارة تحمل معنى، فهذا يعني أنّ هناك جملا تقع فيها الكلمة أو

العبارة، وهذه الجمل تحمل معنى فالكلمة لا معنى لها خارج السّياق الذي ترد فيه، ومع ذلك ظلت "الدّلالة" في معزل عن "النّحو"."[13]

ولم تكن تلك الإشارات التي تقدم بها "ريتشاررز" و"أوجدن" هي الوحيدة في هذا المجال بل نجد إلى جانب ذلك "كاتز" Katz و"فودور" Fodor قد حاولا هما أيضا تبيان:" العنصر الدّلالي للنظريّة اللغويّة بوصفه "وسيلة الكشف" Projection device التي تفسر الموضوعات النّحويّة المجردة، والتي تحتوي على المعجم ومجموعة قواعد الكشف Projection rules والمعجم المثالي سوف يمد المعنى بكل المواد المعجميّة في اللغة، وقواعد الكشف سوف ترجع التّفسير الدّلالي إلى المجموعات التي تنتج بواسطة العنصر الدّلالي الأساسي وفي نظام هذه التّفسيرات الدّلاليّة يكون الرّجوع إلى البنيّة العميقة على حدة أكثر منه إلى البنيّة السّطحيّة."[14]

كانت المسائل المتعلقة بالدّلالة والتّركيب في غايّة الدّقة حيث أفردت لها مجلدات من الكتب والعديد من المقالات العلميّة حيث بادر اللسانيون إلى دراسة التّقاطعات بين المفهومين من خلال الاهتمام الذي أولوه للمستويات اللسانيّة الأربعة المعروفة ولم يتم التّفريق بينهما إلاّ من خلال:" التّفرقة بين التّفسيرات النّحويّة والتّفسيرات الدّلاليّة لم تسمح بأنّ تقرر طبيعة العلاقة الحميمة بينهما، وقد أصبح واضحا بعد تطور النّظريات اللغويّة، وبخاصة نظريّة النّحو التّحويلي التّوليدي أنّ الوصف اللغوي الذي يعالج القواعد النّحويّة والمعجم–أو إن شئت مفردات اللغة–بوصفها وحدتين مستقلتين منفصلتين بدون قواعد تربطهما ربطا داخليا لا يمكن أن ينظر إليه على اعتبار أنّه الوصف الملائم لحقائق اللغة أو لقدرة المتكلمين الأصليين به."[15]

لقد أصبحت دراسة العلاقة بين الدّلالة والتّركيب مسألة في غايّة الدّقة ولذلك تنزع الكثير من المدارس اللسانيّة لتحديد مكانة كل منهما في الدّراسات اللغويّة ومن بين هذه المدارس المدرسة التّوليديّة الممثلة في النّحو التّوليدي.

4–الدّلالة والتّركيب في النّحو التّوليدي: انصبت جل الجهود في بدايّة ظهور النّحو التّوليدي على دراسة التّركيب حيث كان "تشومسكي" Chomsky ينشد الوصول إلى ما يعرف بالنّحو الكلي وهذا ما يبرر الاهتمام بالتّركيب على حساب الدّلالة في

بادئ الأمر وهو الأساس الذي بنى عليه التّوليديون نحوهم؛ حيث حاولوا معرفة القواعد والمعايير التي تحكم التّركيب، كما حاولوا إيجاد نماذج لتلك القواعد التي بني معظمها على الافتراضات والتّفسيرات المستخلصة من البحوث المقدّمة في اللغة.

ليس هذا وحسب بل حاول التّوليديون صياغة التّراكيب في شكل معادلات لوغاريتميّة وقد نتج عن هذا التّحول إهمال عنصر أساسي في اللغة ألا وهو الدّلالة وهذا تأثرا بالرّياضيات حيث لاحظ هؤلاء أن ثمة تقاربا بين النّظام اللغوي والأنساق الرّياضيّة؛ فأصبحت التّراكيب مجرد متتاليات منحصرة فيما يطلق عليه بالنّموذج المركبي الذي تتلخص مبادئه في تمثيل بنيّة الجملة على شكل بناء تراتبي...يعتمد النّحو المركبي تقسيم الجملة إلى مكوناتها الأساس، وتحديد مقولاتها ووظائفها النّحويّة وتصنيفها في فئات محددة صوريا دون أي إحالة على المعنى."[16]

إنّ تجزئة اللغة إلى متتاليات رياضيّة لم يبق للجهاز اللغوي روح الدّلالة، لقد اقتصرت دراسة اللغة على المكونين الصّواتي والتّركيبي وهذا ما يوضحه النّموذج المركبي الذي يقوم على البنيات التّركيبيّة التّاليّة:[17]

هيكل البنيات التّركيبيّة

المكون

التّركيبي

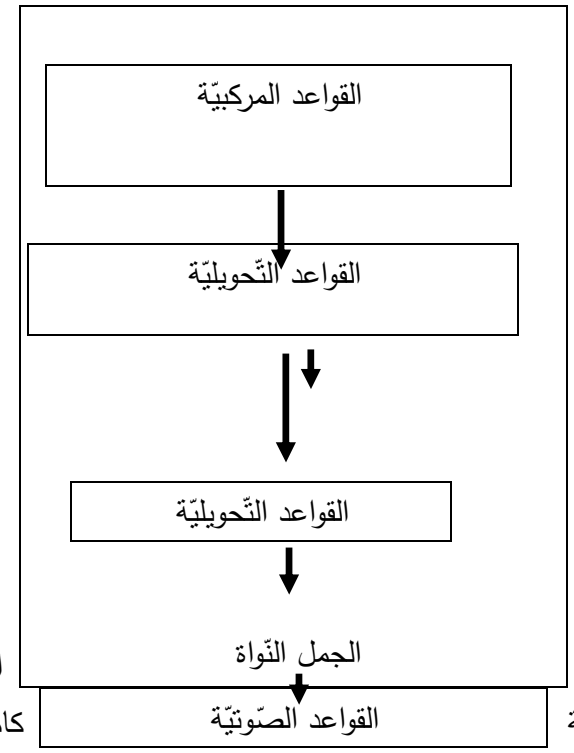

المكون الصّواتي

الجمل المركبة

التّمثيلات الصّوتيّة

الشّكل 1: البنيات التّركيبيّة في النّحو التّوليدي:

لكن التّركيب الذي تنهض به اللغة كامن وراء الدّلالة التي لا يفهم إلاّ بها؛ إنّه تلاحم لساني لا يمكن غض الطّرف عنه، ومع أنّ للمكون التّركيبي مركزيّة مشهود لها في النّحو التّوليدي إلا أنّ نموذج "تشومسكي" لم يستطع في نهايّة الأمر الاستغناء عن الدّلالة ولذلك أدخلت فيما يسمى بالنّموذج المعيار والتي تتجسد في التّمثيل التّالي:[18]

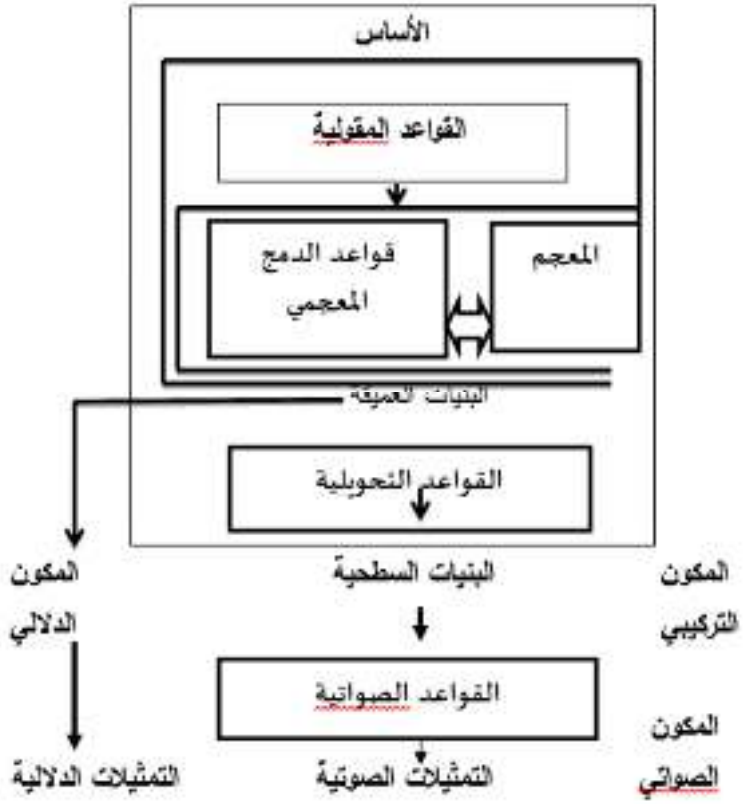

الشّكل2: الدّلالة في النّموذج المعيار:

إنّ المخطّط أعلاه، يبين بحق التّطور الذي حصل داخل النّحو التّوليدي الذي كان يركز على التّركيب ليلتفت بشكل جلي إلى الدّلالة وهذا بإضافة المكون الدّلالي إلى جانب المكونيين التّركيبي والصّواتي، حيث يقوم المكون التّركيبي على عدد لا متناه من المتتاليات اللغويّة التي يطلق عليها الجمل، والمكون الصّواتي الذي يشكل في الحقيقة الجمل التي تولدت عن التّراكيب بوساطة قواعد التّوليد المعروفة في النّحو التّوليدي وهي عبارة عن تمثلات فونولوجيّة، أما المكون الأساس الذي نريد التّركيز عليه فهو أهم عنصر في اللغة إنّه المكون الدّلالي الذي عن طريقه تتحدد الدّلالة من التّركيب وهي مجموع التّأويلات التي تتولد من البنيّة العميقة للتركيب الذي يتجلى هو الآخر في

البنيّة السّطحيّة إذ لا يتصور البتة أن الدّلالة عنصر هامشي في اللغة بل هي علاوة على قيمتها التّواصليّة فهي المؤشر الرّئيس في نجاح الحوار أو الخطاب ...

إنّ الأطروحات التي صاغها "تشومسكي" في النّحو التّوليدي عن التّركيب والدّلالة لم تنته بانتهاء النّموذج المعيار بل واصل البحث عن هذين العنصرين من خلال نماذج أخرى وقد أسفرت النّقاشات الدّائرة على مفهوم التّركيب إلى استخدام مجموعة من المبادئ والوسائط لتحليله وتحديد طبيعته وهذا من خلال المعالجة الحاسوبيّة والعصبيّة: "وقد تبنى النّحاة التّوليديون نموذجا قالبيا وسائطيا، هو نموذج المبادئ والوسائط، الذي استمر بعد ذلك في البرنامج الأدنى، وتبعا له صارت التّغيرات اللسانيّة تفسر باعتبارها اختلافات في الأوضاع الوسائطيّة وانتقل النّحو التّوليدي من نموذج للقواعد إلى نموذج للمبادئ الأساس، وهناك أصناف ممكنة من النّحو التّوليدي، حددت بعد مناقشات "تشومسكي" الأولى على وجه الخصوص في: الحالة النّهائيّة، والبنيّة التّركيبيّة، والأنحاء التّحويليّة."[19]

إنّ ما سقناه عن مفهومي الدّلالة والتّركيب في النّحو التّوليدي ينبئ عن أهميتهما معا في تفسير وتحليل وتأويل اللغة ولا يمكن أن نفصل بينهما وهذا ما تأكد لنا بعد الاطلاع على ما قدمه التّوليديون عبر الأطوار المختلفة التي مر بها النّحو التّوليدي من خلال كل النّماذج التي ذكرناها والتي لم يتسن لنا ذكرها لضيق المقام، وعليه نرى أنّ "تشومسكي" قد استقى أفكاره في النّحو التّوليدي من شتى الميادين من الرّياضيات إلى العلوم الحاسوبيّة إلى العلوم العرفانيّة.

5-الدّلالة والتّركيب في النّحو العرفاني: خلافا للدور الذي يتمتع به التّركيب في النّحو التّوليدي، فإن النّحو العرفاني في إطار تنظيم العلاقة بين الدّلالة والتّركيب نجد أنّه قد اهتم بالعنصرين معا حيث اهتم بالتّركيب فيما يعرف بالنّحو العرفاني واهتم بالدّلالة فيما يعرف بعلم الدّلالة العرفاني، وما استوقفنا في هذين العلمين هو ذلك التّحليل العميق لسيرورات اللغة عبر نظريّة توحد وجهة النّظر القائلة بأنّ التّركيب لا يستغني عن الدّلالة.

وقد ردت الكثير من النّظريات في التيار العرفاني على الفرضيات التي انطلق منها النّحو التّوليدي والتي كان فيها المكون التّركيبي يحظى بامتيازات كثيرة على المكون الدّلالي وفي هذا الصّدد يذكر جاكندوفJackendoff :" أن هندسة التّوازي تسعى إلى تحقيق الموازنة المناسبة بين الهندسة التّقليديّة القائمة على مركزيّة التّركيب والتي جسدتها نماذج(تشومسكي 1965 Chomsky ،1981، 1995)، وهندسة لونكاكر 1987 (Langacker) في إطار النّحو المعرفي، وعن هذه الموازنة ينشأ قيد مهم يأتي من واقع أنّ البنيّة الدّلاليّة الحقيقيّة يجب أن تكون غنيّة بشكل كاف تتحمل الاستدلا خلافا لهندسة التيار الرّئيس حيث كل الغنى يأتي من التّركيب."[20]

إذن إذا كان هذا هو الدّور الذي أعطي للتركيب في النّحو التّوليدي، فإنّ التّركيب في النّحو العرفاني يقوم على:" جريان بنيّة شكليّة ما مكونا من مكونات بنيّة شكليّة من درجة أعلى في التّركيب، والتّركيب درجات أدناه الوحدة الرّمزيّة البسطى وأقصاه ما تسمح به قوانين المقولة في اللغة المعنيّة، والمهم في النّحو العرفاني أن يتوازى مظهران في التّركيب شكلي صوتمي ومفهومي دلالي وفي درجات ذلك التّركيب."[21]

وبهذا الشّكل تتحقق خطاطة اللغة في ظل مركبين اثنين هما التّركيب والدّلالة بالإضافة إلى الفونولوجيا وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ العلاقة الجامعة بين المفهومين تحمل نوعا من الخصوصيّة في النّحو العرفاني وهذا من خلال تسطير "لانقاكير":" مبدأ مضمونه أن الدّلالة لا تقوم قياما كليا على التّركيب بين الدّلالات الجزئيّة إذ يمكن للعبارات ذات البناء المركب أن تحيل، أوّل ما يكون تجميعها، على مجالات لا يمكن التّكهن بها من خلال الأبنيّة المكونة لها أو من خلال الوحدات المعهودة فيها، وإذا مثلت هذه الخصائص جزءا من تأويل هذه العبارات وقسما من قيمتها الدّلاليّة في حال استقرارها وحدة قائمة برأسها، يكون من الاعتباطي إقصاء هذه الخصائص من التّحليل الدّلالي."[22]

تبعا لما تقدم يمكن الإقرار بأنّ التّركيب لا يتحدد إلا من خلال الدّلالة وهي من وجهة نظر "لانقاكر" تطلق:" على كل مادة تصوريّة تمثل مفهوما ممكنا، فالدّلالة عنده هي التّصور"[23] ومن هنا تتفاوت التّراكيب من حيث المراتب المتعلقة بالمضامين

التّصوريّة فالتّركيب التّالي مدير الشّركة مريض يمكنها أن تولد لنا الكثير من التّصورات المضمرة ولهذا فإن مضمون هذا التّحليل يتكفل به علم الدّلالة العرفاني الذي يسعى للبحث عن التّصورات الكامنة في التّركيب و محاولة معرفة سيروراتها العرفانيّة وبهذا الشّكل يكون النّحو العرفاني متلاحما مع علم الدّلالة العرفاني وهذه اللحمة دليل على أن مفهوم التّركيب والدّلالة في المجال العرفاني ليست منفصلة بل يرتبط بعضها ببعض وبهذا انتهى عهد النّحو التّوليدي الذي غيب الدّور الفعال للمكون الدّلالي:" ووقع اقتراح بدائل نظريّة عرفانيّة تتبني على الخصائص الوضعيّة للعلامة اللسانيّة التي يقرها العرفان البشري وبناء خطاطات مجردة ومقولات دلاليّة انطلاقا من مبدأ الاستعمال باعتباره جملة مقاييس لوضعيات التّخاطب اللساني."[24]

خاتمة: تبين لنا من خلال دراسة الإسهامات الجادة لتشومسكي في النّحو التّوليدي و"لانقكر" في النّحو العرفاني أنّ مفهوم الدّلالة والتّركيب ليس محصورا في قيمة التّعريف بكل مكون على حدة وإنّما بالإضافة إلى ذلك من المهم تتبع كل منهما في علاقته بالآخر وبهذا يخلص هذا البحث إلى النّتائج التّاليّة:

– يختلف تعريف الدّلالة والتّركيب بين النّحو التّوليدي والنّحو العرفاني؛ فالأوّل يرى فيه "تشومسكي" أنّ الدّلالة هي ما ينطوي عليه التّركيب ويقصد به مجموع التّأويلات التي تتولد من خلال البنيّة العميقة الثّاويّة خلف البنيّة السّطحيّة الموجودة في كل تركيب، وبهذا فإنّ الدّلالة تضطلع بدور هامشي بخلاف مفهوم التّركيب الذي شكل في التّوجه التّوليدي مركز الدّراسة دون منازع، وقد لاحظنا أنّ "تشومسكي" في الكثير من الأحيان يدافع عن أطروحة استقلال المكونات النّحويّة نظرا لما تحمله من حمولات تأويليّة.

– أمّا الثّاني أي النّحو العرفاني فكان مفهوم الدّلالة منحصرا في التّصورات التي تشكل فضاء دلاليا معينا وبهذا الاعتبار يكون التّركيب في درجة أدنى حيث يقتصر دوره في عمليّة البناء بينما الدّلالة فهي التي يظهر القيمة، مع أنّ "لانقكر" قد تدارك الأمر وقال بتوازي العلاقة بين الدّلالة والتّركيب؛

– ونحن نقترح من خلال هذا البحث أن يعاد النّظر في العلاقة بين الدّلالة والتّركيب حيث لا يمكن الحديث عن عنصرين منفصلين بقدر ما ينبغي الحديث عن مفهومين متكاملين متلاحمين الأوّل يمثل المكون الدّلالي والثّاني المكون التّركيبي، ونحن إذ نشير إلى هذا التّعالق الكبير فإنّنا أيضا ندعو الباحثين في هذا الحقل المعرفي الجديد للالتّفات إلى قيمة اللغة في أبعادها المختلفة وهذا في إطار ما تنادي به العلوم اللسانيّة البينيّة التي تحبذ دراسة اللسان البشري في جميع مستوياته ومن جميع جوانبه.

قائمة المصادر والمراجع:

1–الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة–عرفنيّة، دار محمّد علي، تونس، 1431هـ–2010م، ط1.

2–أوزوالدّ دوكرو، جان ماري شافار، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة تر: عبد القادر المهري، حمادي صمود، دار كيسترا سيناترا، تونس، 2010.

3–عبد السّلام عيساوي، الدّلالة بين النّظامي والعرفاني، الدّار التّونسيّة للكتاب تونس 2018 ط1.

4–رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، تر: محمّد البكري، دار الحوار، سوريّة 1987، ط2.

5-محمّد حماسة عبد اللطيف، النّحو والدّلالة: مدخل لدراسة المعنى النّحوي-الدّلالي، دار الشّروق، بيروت، 1420هـ-2000م، ط1.

7-مصطفى غلفان وآخرون، اللسانيات التّوليديّة من النّموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1431هـ-2010م، ط 1.

*-محمّد غازيوي، السّيرورات المعرفيّة الثّلاثيّة الأبعاد في النّظريّة الدّلاليّة المعاصرة: نموذج نظريّة الدّلالة التّصوريّة، دار كنوز المعرفة، الأردن، 1440هـ-2019م، ط1.

8. هوامش:

[1]-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، د.م 1399هـ-1979م، ج 2، مادة د ل، ص259.

[2]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج11، د.ت، مادة د ل ل، ص 248-249.

[3]-محمّد حماسة عبد اللطيف، النّحو والدّلالة: مدخل لدراسة المعنى النّحوي-الدّلالي، دار الشّروق، بيروت، 1420هـ-2000م، ط1، ص41.

[4]-رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، تر: محمّد البكري، دار الحوار، سوريّة، 1987، ط2 ص 79.

[5]- ابن منظور، لسان العرب، مج1، مادة ر ك ب، ص 428.

[6]-ابن منظور، لسان العرب، مج، مادة ر ك ب، مج1، ص 432.

[7]-أوزوالدّ دوكرو، جان ماري شافار، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، تر: عبد القادر المهري، حمادي صمود، دار كيسترا سيناترا، تونس، 2010، ص 267.

[8]-أحمد محمّد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، بيروت، 1416هـ-1996م، ط1، ص 258.

[9]–مكتب تنسيق التّعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات(إنجليزي–فرنسي–عرب) المنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم، 2002، المغرب، ص 146.

[10]–المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[11] –Franck Neveu, lexique des notions linguistiques, Armand colin, 2ed, 2000, p111.

[12]–محمّد حماسة عبد اللطيف، النّحو والدّلالة: مدخل لدراسة المعنى النّحوي–الدّلالي، ص 40.

[13]–المرجع نفسه، ص 43.

[14]–المرجع نفسه، ص 44.

[15]–المرجع نفسه، ص46.

[16]–مصطفى غلفان وآخرون، اللسانيات التّوليديّة من النّموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1431هـ–2010م، ط 1، ص 56.

[17]–المرجع نفسه، ص 108.

[18]–المرجع نفسه، ص 110.

[19] –Crystal David, The cambridge encyclopedia of lannguage Cambridge university press,1989, p 199.

[20]–محمّد غازيوي، السّيرورات المعرفيّة الثّلاثيّة الأبعاد في النّظريّة الدّلاليّة المعاصرة: نموذج نظريّة الدّلالة التّصوريّة، دار كنوز المعرفة، الأردن، 1440هـ–2019م، ط1، ص 83.

[21]–الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة–عرفنيّة، دار محمّد علي، تونس، 1431هـ–2010م، ط1 ص 118.

[22]–المرجع نفسه، ص 130.

[23]–المرجع نفسه، ص 102.

[24]–عبد السّلام عيساوي، الدّلالة بين النّظامي والعرفاني، الدّار التّونسيّة للكتاب، تونس 2018 ط1 192.